رسالة تبصرة السائل

بنور الحق وزيف الباطل

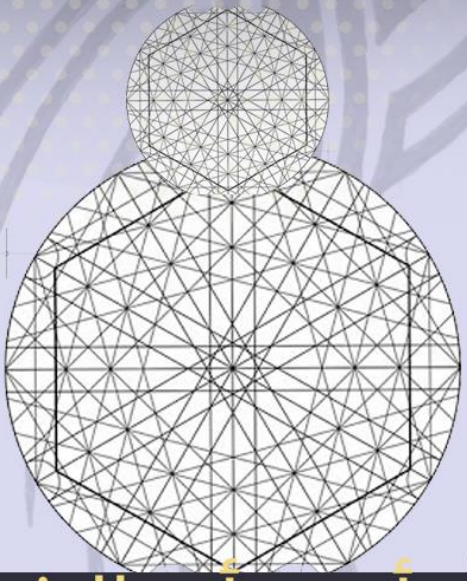

د. أحمد أبو اليزيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رسالةُ

تَبْصِرَةُ السَّائِلِ بنُورِ الحَقِّ وزَيْفِ البَاطِلِ

أحمد أبو اليزيد

فبراير 2022
رجب 1443

المحتوى

مقدمة..... ٣
وتلكَ الأيامُ نُداوِلُهَا بينَ النَّاسِ..... ٤
والعاقبة للمتقين..... ٧
وسائل على الدرب ١٢
مثبتاتٌ على الدرب..... ١٩

مقدمة

بين ظلماتِ الباطل، هذه قناديلٌ تنيرُ الدربَ بنورِ الحقِّ المبين.

فسَدِّدُوا وقارِبُوا وأبْشِرُوا.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾

وتلكَ الأيامُ نُداوِلُهَا بينَ النَّاسِ

وَلَدِي الحبيب، كَمْ علا زيفُ الباطلِ على نورِ الحقِ فغرَّ سُفَهَاء وتَرَدَّدُوا في نُصْرةِ الحقِّ إِذْ رَأَوْهُ مُنْتَكِسًا فهم في ريبهم يترَدَّدُون. أَلَمْ يعلم هؤلاء أنَّ للباطلِ جولةٌ على الحقِّ حتى يمحِّصَ اللهُ الصفَّ ويُرَبِّي المؤمنين ويُزَكِّي نفوسَ المحسنين. ولا يعلو الباطلُ أبدًا على الحقِّ إلا إذا اختلطَت بالحقِّ الشوائبُ فلَزِمَ التطهيرُ أوَّلًا حتى يمكَّنُوا ويُنْصَرُوا، وقديمًا قالوا التخْلِيَةُ قبلَ التَحْلِيَة. وهذا أيضًا مِنْ سُنَنِ الله في خلقهِ ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ﴾[1]. فإنْ رأيتَ يومًا الحقَّ مُضْطَهَدًا والباطلَ مُنَعَّمًا فلا تَعْجَبْ ولا تحزن. ألمْ تقرأ قولَ ربِّكَ ومَوْلاك في وصفِ أهلِ الكفرِ، وهل بعد الكفرِ باطلٌ وضلالٌ؟! ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾[2].

هذا حالُ أهلُ الباطلِ، فما حالُ أهلِ الحقِّ إذن؟! مضت سُنَّةُ المولى عزَّ وجل أنْ يُبْتَلُوا حتَّى يُمَكَّنُوا، وصدق ربُّ العالمين حين قال: ﴿أَحَسِبَ

---

[1] سورة آل عمران، آية 140.

[2] سورة الزخرف، الآيات 33-35.

النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[٣]. بَلْ إنَّ الجنة مرهونة لهم بهذا الابتلاء، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[٤]، بلْ يصيرُ الأمرُ إلى الزلزلة بَعْدَمَا تمسُّهُم البأساءُ والضَرَّاءُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٥]، هذا ولَوْ شاءَ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْ أهلِ الباطلِ ولكن هذه سُنَّةُ اللهِ في ابتلاء المؤمنين، قال تعالى: ﴿ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾[٦].

وأمثلةُ علوِّ الباطل على الحقِّ في فتراتٍ ثم انتصار الحقِّ في نهايةِ المطافِ مُشاهَدة ولا تحتاج كثير دليل. فمَنْ مِنَّا لا يعلم حين رُمِيَ يوسف ـ عليه السلام ـ في غيابات الجب وحيدًا، ثمَّ في ظلمةِ السجنِ أسيرًا، ثمَّ هو على خزائنِ الأرض ممكنًا وعزيزًا. وأينَ أُذُنُ عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يوم شَجَّها أبوجهلٍ فانطرحَ عدوُّ اللهِ في قليبِ بدرٍ، ونالَ ابنُ مسعودٍ أُذُنًا بأُذُنٍ ورأسًا زِيادة.

---

[٣] سورة العنكبوت، آية 2.

[٤] سورة آل عمران، آية 35.

[٥] سورة البقرة، آية 214.

[٦] سورة محمد، آية 4.

فلا يغررك بنيَّ الحق علوُّ الباطلِ ولا انكسار الحقِّ، فكمْ علا زبدُ البحرِ ولكنَّهُ ما يلبثُ أنْ يُمْسِي جفاءًا، وَلَكَمْ هبطت أرضُ خيرٍ لَمَّا هطلَ عليها الماءُ فصارتْ بعد هبوطها جناتٍ فيها من الشجرِ الطيبِ ما أنَّ أَصْلُهُ ثابتٌ وفرعهُ في السماء.

والعاقبة للمتقين

وقَدْ عُلِمَ لِكُلِ ذي عقلٍ أريبٍ أنَّ معركةَ الحقِّ والباطل لا تخلو مِنْ ذلٍّ للباطلِ وإنْ عَلا وتكبر وعِزَةٍ للحقِّ وإنْ حُوصِرَ وتَقَهْقَر. ومْنِ صوَرِ ذاك الذلِّ وتلك العزَّةِ أنَّك ترى أهلَ الباطلِ يُهَرْوِلُونَ إلى أهلِ الحقِّ في مَحْبَسِهِمْ والأيَادِي مُكَبَّلَةٌ والجراحُ نازِفَةٌ، يسألونهم لينَ الموْقفِ وحُسْنَ المعْشَرِ، وقَدْ كَذَبُوا إذْ مَا يَطْلُبُونَهُ لا يَعْدُو كَوْنَهُ إذْعانًا للباطلِ وأَهْلِهِ. وهيهاتَ هيهاتَ أَنْ ينالوا منهم ذاك، وهيهاتَ هيهاتَ أَنْ يُزاحَ أهلُ الحقِّ عن الحقِّ قيدُ أَنْمُلَة، وهل نالَ السوْطُ مِنْ الحرِّ إلَّا صوتَ آهاتٍ! وهل أخذَ السيفُ مِنْ الحرِّ إلّا لَوْنَ دِماء!

ولله دُرَّكَ يا إمام، يوم المحنة والفرقان، يومَ ابْتُلِيَ العبادُ بفتنةِ خلقِ القرآن. فقام ـ رحمهُ الله ـ للحقِّ أسَدًا هَصُورًا، فكان في لَيْلِ المعْتَزِلَةِ للسُّنَّةِ نُورًا مُبِينًا، فجزاهُ اللهُ عنَّا خيرًا وجنَّةً ونعيمًا. وهل تذكر معي يوم جاءه إمام الضلالِ، أحمد بن أبي دؤاد، يناظره في مَحْبَسِهِ والسيوفُ مسلولةٌ والرماحُ منصوبةٌ، عسى أَنْ ينالَ من ابن حنبلٍ ذلَّةِ لِسان، فانْدَحَرَ ابن أبي دؤاد بِذُلِّ الباطلِ خائبًا ذليلًا، رغمَ رفقةِ السلطانِ، وصار ابنُ حنبلِ بِعِزِّ الحقِّ حرًّا عزيزًا رغمَ سياطِ السَّجَّان.

ومن سننِ الله الماضية في خلقه أنَّه سبحانه جعل الجزاءَ من جنسِ العملِ، ومَنْ ظَلَمَ غيرَه ذاق مرارة هذا الظلمِ رغمًا عن أنفه. فكم مظلومًا وهنت كتفاه عن حمل ثقل مظلمته فرفعها إلى مولاه، فأبدله الله خيرًا منها عزةً وشرفًا، وكم ظالما بغى وطغى وتكبر حتى ظنَّ أنَّه في عنان السماء يحلق، فسقاه الله ذل ظُلمه و أسكنه في ردغة خبال فُجره يتنفس رهج عبثه ومجونه. ألم تر إلى الحميراء الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ في محنتها عندما رماها الفجار بالزور والبهتان عسى أن تصير طيب ذكراها نسْيًا مَنْسِيًّا، فأنزل الله من فوق سبع سماواتٍ براءتها تُتْلَى إلى يوم الدين، فرفع بذلك ذكرها وحطَّ مِنْ قدرِ مَنْ تولى كبْرَه فهو في لعنةٍ إلى يوم الدين، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٧].

وكم مِنْ عالمٍ جليلٍ وُصَفَ من خصومه الظالمين بأصنافٍ عدةٍ من ضروب المفاسد الشرعية والعقدية، لا لشيءٍ إلَّا لأنه على الحق المبين، فأبدله الله ذكرًا حسنًا إلى يوم الدين وجعل له لسان صدقٍ في الآخرين، وما خبرُ ابن تيمية عنك ببعيدٍ، وسبحان الملك الوهاب يَمُنُّ على من يشاء من

[٧] سورة النور، آية 11.

عباده بالبلاءِ حتى يعلو في العالمين ذكره ويرتفع عند ربِّ العالمين في جنة الخلد اسمه.

وكم من أمةٍ بغت على أنبيائها وصالحيها فقتلوا الأنبياء وحَرَّقوا الصالحين وأسَرُوا المخبتين وأشاعوا عن المحسنين الفحشاء، فأبدلهم مولاهم من يسومهم سوء العذاب من بني جلدتهم أو من غيرها – ولو بعد حين – ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ ﴾[٨]. وهل رأيت أخوة يوسف عليه السلام لما بغوا عليه ورموه في غيابات الجب، فألجأهم الله إليه أذلّة بعد حين يسألون حفناتٍ معدواتٍ ببضاعةٍ مزجاة ﴿ قالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۝ ﴾[٩]. وهل رأيت أحمد يوم إذ عُذِّبْ – ويا ليت شعري أيُعَذَبُ أحمد؟! – من بني العباس فصمت الناس على تلكم المظالم حتى ذاقوا الذلَّ والوبال تحت حوافرِ خيولِ المغولِ والتتار. واعلم بُنَيَّ أنَّ ما ظُلِمَ امرؤٌ على وجه تلك البسيطة وعَلِمَ بهذا الظلمِ أحدٌ – وكان في يده أن يغيره حتى ولو بقلبه – ولم يفعل إلَّا ذاق من هذا الظلم ظلمًا أشدُّ وأنكى، فما بالك بمن أعان على هذا الظلم، فمن أعان ظالمًا سلطه الله عليه، فانظر وتدبر.

---

[٨] سورة يونس، آية 88.

[٩] سورة يوسف، آية 88.

وعلى أهل الحقِّ . حيثما كانوا . ألَّا ينظروا إلى آلامهم بعين الحسرة، بل عليهم أن يعلموا بعين اليقين أنَّ الألم في أهل الباطل أشد والعاقبة للمتقين، فلا يهنوا ولا يحزنوا، ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[10]. فأهلُ الباطل . عادةً . أصحاب مال ونفوذ، وسوف يلقوا بأموالهم في أتون الصراع بين الحق والباطل نصرةً لباطلهم، فلا يجزع أهلُ الحق لما يروا هذه الأموال تتدفق فهي حسرة عليهم في الدنيا والآخرة، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[11]، بل في الحقيقة يجب عليهم أنْ يستبشروا فهذا وَعْدُ الله ورسولِه، ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[12].

وعليك أن تفْقَهْ وَلَدِي الحبيب، أنَّ للحقِّ أهلًا ورجالًا يصطفيهم المولى العزيز بحكمتِه ومنَّتِه، فيقذف في قلوبهم الحقِّ قذفًا وينير دروبهم بنوره فيسيل

---

[10] سورة النساء، آية 104.

[11] سورة الأنفال، آية 36.

[12] سورة الأحزاب، آية 22.

على ألسِنَتِهِمْ حُجَجُ الحقِّ سيلًا، فلا يجد الباطلُ محيصًا من الإنصهار تحت دكِّ حوافرِ الحقِّ المبين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[١٣]، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[١٤].

[١٣] سورة سبأ، آية 13.

[١٤] سورة الأنبياء، آية 18.

وسائل على الدرب

ومن وسائل الحق لدحر الباطل أن يُفْشِي أهل الحق على الملأ ظلم أهل الباطل وتجاوزهم وفجرهم حتى يحرك أهلُ الحقِّ النخْوةَ في نفوس العامة من الناس، فالناس في الأصل معادنهم طيبة ولكنها لا تخلو من طبقة رانٍ عليها تحتاج من يجليها. وهذا الران من أثرِ مكرِ الليلِ والنهار الذي يمارسه أهلُ الباطلِ فيقلبوا الحقائق لدى العامة فيصيرُ المعروف منكرًا ويُمْسِي المنكر معروفًا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[١٥]، فوجب مواجهة الباطل بالحقِّ حتى يبطل كيدَ هؤلاء وينقلبوا خاسرين ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۝ ﴾[١٦].

والظلم ـ بنيَّ الحقِّ ـ ظلماتٌ بعضها فوق بعض، والفطرة السليمة تأباها حتى إنْ كانت على الكفر. وربما يكون الظلم جليًا للعيان يحتاج إلى تنبيهٍ وإشارةٍ، ورُبَّما يكون خفيًا يحتاجُ إلى افشاء لسِرِّهِ أمام البشر كل البشر.

ومن أمثلة الظلم الجلي ما كان من قريش في حصار الرسول صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه في شعب أبي طالب ثلاث سنين. هذا الظلم الذي جعل المسلمين يأكلون ورق الشجر فرأى بعض الكفار ذلك. من ذوي الأخلاق

---

[١٥] سورة الأعراف، آية 116.

[١٦] سورة الأعراف، الآيات 118-119.

الحسنة والفطرة الطيبة كحكيم بن حزام رضي الله عنه وقت كفره وكان يحمل الطعام لخديجة أو كالمطعم بن عدي وغيره مِمَّنْ سَعَوْا في نقض صحيفةِ المقاطعة . فهبُّوا لنصرةِ المسلمين لَمَّا رأوْا من ظلم قريشٍ لهم.

وقد يكون الظلم جليًا ولكن لا بأس من إفشاءه وفضح الظالمين، ألم تقرأ حوار ابن الدغنة مع أبي بكر الصديق . رضي الله عنه . لما حاول الهجرة من مكة إلى الحبشةِ؟ أفشى أبوبكر ظلم قريش وعلم ابن الدغنة ذلك فآواه ونصره رغم أنه على دين قومه. وهنا لا يجوز للمرء أن يقول أنَّ من علامات الصبر ألَّا يكشف المرء عن ظلم الناس له، فهذا أدْعَى أن يتجاوز الظالمون مداهم فيظلِمُوا ويظلِمُوا دون رادعٍ من فطرةٍ سليمةٍ لدى أناسٍ ربما يكونوا من بني جلدتهم، فيخفف الله على أهل الحق ما هم فيه من بلاء.

ألم تقرأ قولَ الحكيمِ الخبير في وصفِ أهلِ الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[17]، وهؤلاء ليس عليهم حرج فيما فعلوا من ردِّ السيئةِ بمثلها ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[18]. بل إنَّ فضيحة الظالمين بظلمهم أمام العامة حتى يُلْعَنُوا فيتوبوا ويعودوا إلى رشدهم وصيةٌ نبويةٌ من نبراس النبوة. ففي الترغيب والترهيب للمنذري . وللحديث طرقٌ آخرى . أنَّهُ جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ

---

[17] سورة الشورى، آية 39.

[18] سورة الشورى، آية 41.

عليه وسلَّم يشكو جارَه قال اطرَحْ متاعَك على طريقٍ فطرحه فجعل النَّاسُ يمرُّون عليه ويلعنونه فجاء إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال يا رسولَ اللهِ لقيتُ من النَّاسِ قال وما لقيتَ منهم قال يلعنونني قال قد لعنك اللهُ قبل النَّاسِ فقال إنِّي لا أعودُ فجاء الَّذي شكاه إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال ارفَعْ متاعَك فقد كُفِيتَ.

ولا ينبغى لأهل الحق المظلومين أنْ يتجاوزوا في كشف ظلمهم ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[19]. فلا يجوز – بل لا ينبغي – أن يكذبوا ويدلسوا حتى لا يكونوا ظالمين كسالفيهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[20]، فإنْ كَفَّ الظالمون عن ظلمهم كفَّ المظلومون عن هتك سترهم بما تقتضيه الحاجة، ولكن حذار من نكوث أهل الباطل بوعودهم بعد حصول أهلَ الحقِّ على بعض حقوقهم – لما رأوه من انصراف الناس عن متابعة ظلمهم – فهذا ديدنهم في كل وقتٍ وحينٍ، ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ

---

[19] سورة الشورى، آية 40.

[20] سورة المائدة، آية 8.

﴾[٢١]، وكما قال عمر رضي الله عنه ـ إنْ صحَّ نسبتها إلى الفاروق ـ: لستُ بالخبِّ ولا الخبُّ يخدعني.

وجادل أهل الباطل بالحسنى ولكن لا تنسى أنَّ جُلَّ أهلِ الباطل لا يبرح عن باطلِهِ حتى يأتيه اليقين أي الموت، وإنْ جئت لهم بالحجةْ والبرهان مما لا يدع بابًا للباطل إلا أوْصَدهُ ولا يدعُ حجةً للباطلِ إلا فنَّدَها ودحضها ، ولكن هذه مِنْ سننِ الله في خلقه. أَلَمْ تقرأ حال ترجمان القرآن عبدالله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ لما ناقش الخوارج فأقام عليهم الحجة، ففاء مَنْ فاء إلى صوابهِ وبقيَ مَنْ بَقِيَ على ضلاله، فمَرَقُوا من الدين كمَا يمرُقُ السهمُ مِنْ الرميَّة على الرغم مِنْ عظيم قراءتهم للقرآنِ ولكنَّها لا تجاوز تراقيهم. وبرغم إقامة الحجة عليهم مِنْ حبرِ الأمَّةِ ما فاءوا بَلْ ظنُّوا في أنفسهم خيرًا، حتى قتلهم عليٌّ ـ رضى الله عنه ـ قتل عادٍ وثمود.

وهكذا، فاعلمْ بُنَيَ أنَّ حال أهل الضلالة لما يروا الحقَّ بأُمِّ أعينهم ويُزَلْزِلُ البرهانُ هشَّ باطلهم أنْ يَشُكُّوا في واقعهم وحاضرهم، ويقولوا كما وصف الملك سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝ ﴾[٢٢]. وما نبأ قوم فرعون عنك ببعيد، إذْ جاءهم موسى بالآياتِ المفصلاتِ فما كان

---

[٢١] سورة الأعراف، آية 135.

[٢٢] سورة الحجر، الآيات 14-15.

منهم إلَّا أنْ قالوا سحرٌ مبينٌ، ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾[٢٣]. ولتعلم أنَّ طالبَ الحقِّ مع الحقِّ حيث كان، أمَّا أهلُ الباطلِ أهلُ كِبْرٍ وغَفْلَةٍ، ولذلك عوقبوا بطمسِ فطرتهم وفسادِ قلوبهم فهيَ كالأكواز المجَخِّيَةِ، فلا سبيلَ هدى هم له تابعين ولا سبيل باطلٍ إلا وله مُبادِرين ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝ ﴾[٢٤]. وهذا ديدنُ أهلِ الباطلِ إذ يَدْفَعُوا حججَ الحقِّ الدامغة فضلًا أن ترنوا أبصارهم إليها في الأساس، ومن فسادِ عقولهم قالوا: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾[٢٥]، وعلى النقيض من هذا فدعاءُ أهلِ الحقِّ أنْ يوفَّقوا إلى سبيل الاستقامة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾[٢٦]، فشتَّان شتَّان، فبين الفريقين برزخٌ لا يبغيان ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ

---

[٢٣] سورة الأعراف، آية 132.

[٢٤] سورة الأعراف، آية 146.

[٢٥] سورة الأنفال، آية 32.

[٢٦] سورة الفاتحة، آية 6.

وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٢٧﴾.

ولا ينبغي لأهلِ الحقِّ عِنْدَ مجادلةِ أهلِ الباطلِ أنْ ينساقوا في الدفاعِ عن أخطائهم، بل يجبُ عليهم أنْ يتجاوزوا أخطاءهم – التي لا مفرَّ منها كونهم بشرًا يصيبون ويخطئون – وأنْ يُقِرُّوا بها ثم ينتقلوا من وضع الدفاع إلى وضع الهجوم داحضين زيفَ الباطلِ بالحجةِ والبرهان. وهاتيك هذين المثالين لتعلم كيف تحاور وكيف تجادل أهلَ الزيغِ والبُطْلان.

انظر معي إلى الصحابة . رضي الله عنهم . لما انْتَهَكُوا الأشهرِ الحُرُم في سَرِيَّةِ نَخْلَة، فثارَ أهلُ الباطلِ من المشركين على تلك الجريمة الشنعاء – في زعمهم – ونَسَوْا ما جَنَتْ أيْدِيهِمْ مِنْ جرائم يَنْدَى لها الجبين، فأنزل سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴿٢٨﴾. فأقر سبحانه أنَّ القتالَ في الشهرِ الحرامِ كبير، ولكن هيهات هيهات أَنْ يُقارِنَ بين خطأٍ كهذا وبين الصدِّ عن سبيل الله والفتنة في الدين. بل تعالى معي غُلَيْمَ أهل الحقِّ وتأمل حِوارَ مُوسى الكليم مع

---

[٢٧] سورة محمد، آية 3.

[٢٨] سورة البقرة، آية 217.

فرعون اللئيم لما أرادَ ـ أخزاه الله ـ أنْ يُوَبّخَ موسى عن قتلهِ القِبْطِي فَلَمْ يُجادِلْهُ الكليمُ عليه السلام، بل أقرَّ بفعلتهِ: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝ ﴾[29]، ثم انتقل عليه السلام لإقرار الحق الذي أُرْسِلَ بِهِ فقال: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾[30]، ثم انتقل مهاجمًا فرعون وكاشفًا زيفَ دعواه الباطلة قائلًا: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ ﴾[31]، ثُمَّ فَنَّدَ له ولِلْمَلإِ من حولهِ أدلةَ الحقِّ فإذا الباطلُ يَنْحَسِرُ، ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ ﴾[32].

واعلم ولدي الحبيب أنَّ كلًّا من أهل الحق وأهل الباطل يسعون لنصرة معتقدهم، غير أن أهل الباطل يستحل كل وسيلةٍ باطلةٍ عملًا بهذا المبدأ العجيب أنَّ الغايةَ تُبَرِّرُ الوسيلة وهذا لعمري في القياس بديعٌ. وفي هذا فإنَّ وسائلَ أهلِ الباطلِ قد تخيف أهل الحق لما يلبسونها من مسوحِ الرهبة والمكر والتدليس، فلا توْجسْ ولا تخفْ يا ولدي فإنَّك أنت الأعلى وهذا أمر الله لنبيه وكليمه بل يجب عليك أنْ تُلْقِي براهينك التي سوف تلقف

---

[29] سورة الشعراء، آية 20.

[30] سورة الشعراء، آية 21.

[31] سورة الشعراء، آية 22.

[32] سورة الإسراء، آية 81.

إفك باطلهم فلا يفلح الله كيد المفسدين ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۝ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ۝ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝ ﴾[٣٣]. بل فاصبر ولا يكن في صدرك ضيق مما يمكرون ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ ﴾[٣٤].

مثبتاتٌ على الدرب

وفي الفتنِ قد يختلط الأمر على ذوي الأحلام والنهى فضلًا عن العامة، فيصعب عليهم رؤية الحق من الباطل لاختلاطهما بالشوائب. وهنا تأتي المثبتات، وهي إشارات ربانية تلمح حتى تضيء للضالِ الطريقَ وتُنِيرَ له الدربَ، فيسير على هُدَى بعدما انْقَشَعَ الظلامُ عن وجهِ الحقِّ الأبلج.

وأشدُّ ما تختلط الأمور عندما يكون لَدَى الطرفين حجةٌ دامغةٌ مِنْ القرآنِ وسنةِ خيرِ الأنَام، فَكِلا الطرفينِ مسلمٌ موحدٌ، وهذا قد يكون كحالِ قتالِ أهلِ البغي، كما قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي

---

[٣٣] سورة طه، الآيات 67-69.

[٣٤] سورة النحل آية 127 .

حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾[٣٥]. هذا أشد أنواع الفتن، أن ترى الفريقين مؤمنين فإلى أيِّ الفريقين تنتمي؟ أمَّا صراع المسلمين مع الكفار فهو محسومٌ بطبيعة الحالِ، ولا يسألُ عن كُنْهِ الصراعِ إلَّا مُتَخَاذِلٌ أو جبانٌ أو منافقٌ معلومِ النفاق.

وإليك باغي الحق هذا المثال الذي هو نبراس البيان لمعرفة الحد الفاصل بين الحق والباطل عند احتدام الصراع بين طرفين كلاهما من الموحدين. هل تعلم ما حال خزيمة بن ثابت رضي الله عنه في أحداث الفتنة؟ خزيمة ذو الشهادتين لم يحسم أمره. إنْ صح الخبر كما ذكر الهيثمى إلى أحد الفريقين بل انتظر حتى شاهد مقتل عمار بن ياسر. رضي الله عنهما. يوم صفين وهنا حسم أمره لما رأى من المثبتات على طريق الحق، فقد عُلِمَ أنَّ عمارًا تقتله الفئة الباغية. فانضم خزيمة إلى معسكر عليٍّ رضي الله عنه. و لك أن تتخيل بُنَيَّ كيف لمثلِ خزيمة أَنْ يحتارَ، بل كيف لمثل من هو أعظم من خزيمة أن يعتزل الأمر برمته، ألَّا وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فالأمرُ كان جدٌّ ملتبس حتى على خير القرون من أصحاب خير البشر. فعليٌّ رضي الله عنه – خير أهل البيت من الرجال بعد النبى العدنان ورابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام – يريد

---

[٣٥] سورة الحجرات، آية 9.

أن يقيم الحدود على قتلة عثمان بعدما تستقر الأمور لِمَا لِقَتَلَةِ عثمانِ من شوكةٍ ولِمَا لحالِ الأمَّةِ مِنْ ضعفٍ، وعلى الجانبِ الآخر هذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما – خالُ المؤمنين وكاتبُ الوحي. ولي دم عثمان يرى أنَّ حدًا من حدود الله قد أُبْطِلَ. وفِي الفريقين صحبٌ كِرام، فهنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما وغيره، وهناك الرجل الصالح عمرو بن العاص رضي الله عنه. ومما زادَ الأمر إبهامًا أحداث الجمل، إذْ قُتِلَ فيها بشرٌ كُثُرْ واستشهد رجلين من العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، وكان قتلهما في حربٍ مع فريق عليٍّ رضي الله عنه، رغم أنهما بصحبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ابتغوا صلحًا بين الطائفتين، بل ورغمًا عن علي رضى الله عنه الذي كان أشدَّ الناسِ حرصًا على عدم إراقة الدماء، فعليٌّ رضي الله عنه أنكر هذا القتل بل بَشَّرَ قاتلَ الزبيرِ بالنَّارِ، ولكنَّها هكذا الفتن. مع كل تلك الأمور الحالكة، تظهر المبشرات لتنير الدرب، أين الحق وأين الباطل؟ فيأتى مقتل عمار مبشرًا بأن فريق معاوية رضى الله عنه هو الفئةُ الباغيةُ، لأنَّ عمارًا تقتلهُ الفئةُ الباغية. وهذا ما ندين لله عز وجل به، أنَّ عليًا اجتهد فأصاب فله أجران، وأَنَّ معاويةَ اجتهد فأخطأ فلهُ أجرٌ واحدٌ. غفر الله للجميع،

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾[٣٦].

ولكن هذا فيما فيه دليل صريح من قرآن وسنة، فكيف الحال إذا انعدم الدليل الصريح؟ يأتي هنا الدليل الخفي وهو بلا شكٍّ من القرآن والسنة أيضًا. فهبَّ أنَّ هناك فئتان من المؤمنين اقتتلوا فلم نستطع الصلح بينهما فبغت إحداهما على الأخرى، فما السبيل؟ كيف تعرف أنَّ أحدهما هو الباغي و ليس المبغي عليه؟ انظر إلى المثبتات. فمثلًا انظر إلى أيِّ الفريقين يمتاز أهل التقى والصلاح من أهل القرآن والإيمان. فإن تساويا – ويصعب ذلك – فإليك هذا السبيل الذي لا يخطئ وهذا عندما تسيل الدماء. انظر إلى قتلى الفريقين وانظر إلى حالتهم قبل الموت وبأيِّ خاتمةٍ خُتِمَ لهم، فمن خاتمة السعادة أنْ يبتسمَ المرءُ عند الموت فالشهيد كما نعلم يرى مقعده من الجنة، وكذلك تكالب أهل الخير في الجنائز كما قال أحمد (بيننا وبينكم الجنائز).

وإليك دليلًا آخر، فالصدق والكذب نقيضان لا يجتمعان كما أنَّ الحق والباطل ضدان لا يستويان. فالصدق منارة نور الحق، ﴿عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا﴾، والكذب

---

[٣٦] سورة البقرة، آية 134.

مستنقع زيف الباطل ﴿ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا. ﴾

ولا ريب أنَّ الحقَّ الصافي لا يشوبه كذبٌ قط، فإن شابه كذبٌ ففيهِ من الحقِّ – وهو الأصل – بنسبة ما فيه من الصدق. وكذا الباطل، ربما يصدق في أشياءٍ ويدلس في أخرى، ويكذب في الغالب فهذا كالشيطان حين صدق أباهريرة . رضي الله عنه . وهو . أي الشيطان . كذوب. فعلى راغب الحقِّ الذي اختلطت عليه الأمور أن يفتش بنفسه وعقله عن منبع الصدق، فريثما وجد الصدق في كفةٍ أرجح رجْحَانًا غالبًا فهذا هو أقرب الفريقين إلى الحق، وإنْ تساوت الكفتان حيث لا تفرق بينهما كمن لا يفرق بين الخيط الأبيضِ من الأسودِ قُبَيْلَ الفجرِ فاعلم أنَّ كلا الفريقين على ضلال. واعلم ولدي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كذب قط . فهو الصادق الأمين . لأنَّ رسالته هي الحق المبين. أمَّا أهل الكفر والضلال من قريش افتروا عليه إثمًا عظيمًا فقالوا ساحرٌ وما هو بساحرٍ، وقالوا كاهنٌ وما هو بكاهنٍ وقالوا وقالوا، حتى أكبهم الله على مناخرهم في جهنم وبئس المصير. وإليك راغب الحق موقفين من مواقف عزة أهل الحق على أهل الكفر لتعلم الفرق بين الصدق والكذب. أتذكر معي حوار أبي سفيان رضى الله عنه يوم كان كافرًا مع هرقل عظيم الروم، إذ قال: ولولا أن يؤثرون عليَّ

كذبًا لكذبت. فهذا أبو سفيان منعته أخلاق العرب – وخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا ما فقهوا – من الكذب لتبرير باطل كفره آن ذاك. ولكن الشاهد هنا أنَّهُ فكر في الكذب إذ أنَّ الصدق هنا لا ينجي لأنه على الباطل، وأين أخلاق العرب من الأَنَفَةِ من الكذب كما قال أنس . رضي الله عنه . وما كنا نعرف الكذب. أما الموقف الآخر غُلَيْمَ الحق هو حوار جعفر الطيار رضي الله عنه مع النجاشي رضي الله عنه يوم افترى عليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه – يوم كان كافرًا – بهتانًا عظيمًا. فكان مما قال في بهتانه عليهم أنَّهم سفهاء . وكذب إذ قال ذاك . فهم أشراف قومهم وسادتهم. وانظر معي إلى نور حجة جعفر وصدق بيانه . إذْ هو على الحقِّ المبين . إذْ دَحَضَ فِرْيَةِ عمروٍ وألقاها في غيابات الجبِّ، والحوار في كتب السنة لمن يعتبر. ولكن أعظم ما ردَّ به جعفر هو آي القرآن الكريم إذْ إنَّه الحق المبين، ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[37]. ولأنَّ الصدق نورٌ في ذاته والكذبَ ظلماتٌ بعضها فوق بعض، فما كان من النجاشي إلا أن ردَّ عمروًا وحزبه خاسرين يجرون خُفَّيَّ حُنَيْن. وهذا فاعلم بني أنَّ الصدق منجاة لأهل الحق والكذب استدراك من الله عز وجل لأهل الباطل، ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[38].

---

[37] سورة آل عمران، آية 60.

[38] سورة الرعد، آية 19.

وفي النهاية، فاعلم ولدي، أن الكثرة لا تعني الحقّ، بل على النقيضِ فأهلُ الحقِّ دومًا قلة وأهل الباطل هم أكثر عددًا وعتادًا، وانظر إلى مسيرة الأنبياء من لدن آدم عليه السلام. ولا تسلم الحياة إلا بوجود هذه الفئة المؤمنة الصابرة التي تدافع أهلَ الباطل، ولولا هذه السنة ـ أي سنةُ التدافع ـ لفسدت الأرض، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ﴾[٣٩]. ورغم قلة العدد والعتاد يأتي النصرُ من الله عز وجل إذا ما آمنوا وصبروا، قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ ﴾[٤٠]، فاصبر واحتسب، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾[٤١]، عسى الله أن يقطع دابرهم ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[٤٢].

---

[٣٩] سورة البقرة، آية 251.

[٤٠] سورة البقرة، آية 249.

[٤١] سورة آل عمران، آية 200.

[٤٢] سورة الأنعام، آية 45.